مباني الوحدة في الخطاب الإسلامي

د.فاضل مدب متعب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا﴾

(ال عمران/١٠٣)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

ان من المتيّقن ان الله عزّ وجلّ يريد من المسلمين ، وان اختلفت ديارهم وتباينت أوطانهم وتعددت مشاربهم ان يكونوا إخوة متوادين متحابين متعاونين متناصرين ، فان وحدة شعائرهم الإسلامية، كالقبلة والصلاة نحوها وقصدها في مواسم الحج ، وكذا وحدة شانهم والتواصي بالحق وبالصبر فيما بينهم ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والتعاون على البر والتقوى كل ذلك من الأسس المبدئية للوحدة الإسلامية ،فقد ورد في الاثرعن الإمام الصادق (ع) انه قال : ((المسلمون إخوة تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم هم يد على من سواهم))[1].

وبقبال ذلك فان الله سبحانه يبغض الخلاف والفرقة والتنازع والتناحر بين المسلمين بل يجعل نبيه بريء من أولئك المرجفون ، ويتوعدهم بالعقاب ؛ لأنهم فرّقوا الأمة وهي جميع بعد أن انعم الله عليها بنعمة الإسلام فألف بين قلوبهم المليئة بالبغضاء وآخى بينهم ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (الأنعام/١٥٩).

ولا شك في ان المحرمات الاجتماعية التي ينهى عنها الدين –ومن أشدّها تباغض المسلمين وتفرقهم واقتتالهم فيما بينهم – ماهي الا مفاسد كبرى يجب على المسلمين درؤها عن أنفسهم ، فليس يضعف الإسلام والمسلمين ويفت عضدهم مثل التفرق والتناحر ، قال عزّ من قائل:﴿ **.. وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (الأنفال/٤٦).**

---

[1] وسائل الشيعة، الحر العاملي : ٧٥/٢٩.

وما هذه الدراسة الا تعبير عن صراعات داخلية، وهواجس نفسية، تؤلمني كل ساعة، بل وكل لحظة وأنا انظر الى واقع المسلمين المرير الذي لا يسرّ الا أعداء الإسلام ، فصرنا – من حيث نعلم او لا نعلم - آلة بأيديهم ،نخدم ما إليه يصبون ونقصر لهم الأمد في ما يخططون. فما احرانا أيها الشرفاء ، وما احرانا أيها المسلمون أن يغض بعضنا عن بعض ، وان نتناسى العداوة والأحقاد ؛ لان ورائنا من هو اشد حقدا وانكى ضررا ، يترقب بنا الفرقة والاختلاف ليثب وثبة الليث فلاُيبقي ولا يذر ، ولاُيقعدنا أن تسلطت دول الكفر علينا ولاُييئسنا أن دخلت أمريكا دارنا فباتحادنا (يُهزم الجمع وُيولي الدبر) .

وقد اختطت هذه الدراسة لنفساها مباحث متنوعة،سبقها مقدمة وتمهيد بين يدي البحث ،بينت أهمية هذه الدراسة، كان الأول منها معنيا ببيان مباني الوحدة في القران الكريم ، وعني المبحث الثاني ببيان الخطاب الوحدوي عند النبي (ص) ، وعند آل البيت (عليهم السلام) ، بعدّهما عدل القران وأنهما أهل النص الذي لا تقلّ قدسيته عن قدسية القران العظيم ، وأما المبحث الثالث فقد أوضح أسباب الفرقة والتنازع ، ومن ثمّ السبيل الى تحقيق الوحدة، ليأتي المبحث الرابع بذكر علماء دعوا الى وحدة الصف وتوحيد الكلمة، عن أهمية هذه الدراسة، ثم جاءت النتائج التي تمخضت عنها ، فالمصادر .

وأخيرا أرجو من الله العلي المقتدر أن لا يجعلني مع القوم الذين يفرقون الجمع ويمنعون من رأب الصدع .

فاضل مدّب

٢٠٠٨/٥/٨م

توطئة:

لاشك في ان الخلاف الديني بين المذاهب الإسلامية ليس في شيء من أمور الخلاف السياسي ؛ لأنه اذا مشى في وضعه الصحيح لم يوجب تفرقة في كلمة المسلمين ، ولم يحدث عداء بينهم ، لأنه لا يدور في أصله على مطمع من مطامع الدنيا كما يدور الخلاف السياسي ، وإنما يرجع في أصله الى تفاوت عقول البشر وتباين مداركهم فضلا عن ان كثيرا من النصوص الدينية لا تكون ذات دلالة قطعية فكثير منها ورد إلينا بطرق الآحاد وهذا يجعلها ظنية في متنها ودلالتها معا .

ولاشك ايضا في ان مثل هذا الخلاف - الذي تسامح فيه الشارع المقدس فقبل عمل المكلف ولو كان مبنيا على الظن ، لكن المعتبر منه دون الظن المطلق- يجري سمحا بين المسلمين لأنه مبنيا في الأصل على التفاوت بين العقول فلابد والحال هذا ان يغفر بعضهم لبعض فيه كما غفر الله لهم عملهم بالظن وقبله منهم ، لأنهم لا شان لهم في الدين أكثر من شان الشارع فهو صاحبه في الحقيقة وهو الذي له حق الثواب والعقاب فيه ، ومن اجل هذا يجب ان يترك أمر الحساب الديني على الخلاف الظني اليه وحده عز وجل ، وان يكون علاج أمره بيننا بالتي هي أحسن لا بشيء آخر، قال تعالى: ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴾ (المؤمنون/٩٦)..

وعلى أساس من هذا قامت مجموعة من العلماء المعتدلين بإنشاء دار للتقريب بين المذاهب الإسلامية[1] ،في الخمسينيات من القرن الماضي الموافق ١٧/ربيع الأول /١٣٧٨هـ كان مقرها الرئيسي في مصر وبإشراف من الجامع الأزهر وريادة الشيخ محمد شلتوت شيخ الأزهر آنذاك ، وان كان مؤسسها الأول هو الشيخ محمد تقي القمي الذي له الفضل في إرساء قواعدها وذلك بسفره المتواصل الى كافة البلدان الإسلامية ومناقشة علماء تلك الأمصار، بغية إقناعهم على توحيد كلمة المسلمين ورصّ صفوفهم فنتج عن ذلك دار التقريب، التي جعلت سنتها ما تقدم من البديهيات العقلية الضرورية ، وبنت مرتكز ها على القواسم المشتركة بين المذاهب من اجل

[1] (ظ) كتاب الوحدة الاسلامية بين المذاهب ، عبد الكريم الشيرازي

رأب الصدع في ما بينهم وتوحيد كلمة المسلمين وجمع شتاتهم وقد جعلت في المادة الثانية من قانونها الأساسي البنود التالية[٢]:

١ - العمل على جمع كلمة أرباب المذهب الإسلامية الذين باعدت بينهم آراء لا تمس العقائد التي يجب الإيمان بها.

٢ - نشر المبادئ الإسلامية باللغات المختلفة ، وبيان حاجة المجتمع الى الأخذ بها .

٣ - السعي الى إزالة ما يكون من نزاع بين شعبين او طائفتين من المسلمين والتوفيق بينهما .

وهذه هي سنة جماعة التقريب أولئك، فهي تعمل على جمع كلمة أرباب المذاهب بالتي هي أحسن وتسعى الى تسوية النزاعات بطرق سليمة وسلمية ؛ليحل الصفاء محل الجفاء ، وتجتمع الكلمة بعد الفرقة ، مع بقاء كل فريق على مذهبه إن أراد ؛ فجميع المذاهب الإسلامية ما هي الا طرقا مؤدية الى الله تعالى ، وللعبد المكلف أن يختار أيها شاء للوصول الى رضاه سبحانه الا ان هناك دائما طرقا مختصرة وأمينة بل ومضمونة ، وهناك طرقا بعيدة وخطرة وموهمة فعلى المرء ان يحتاط في اختياره ويحذر من شيطانه .

واذا كان الإسلام لا يرى ان يترك الكافر دينه وينتقل الى الإيمان كرها وإنما يجب ان تكون دعوته اليه بالحكمة والموعظة الحسنة ﴿ لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنْ الغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة/٢٥٦)، فمن الأولى أن تكون هذه الدعوة مفتوحة بين المذاهب الإسلامية ، فيجعلوا الحق لكل مسلم في الانتقال من مذهبه الى أي مذهب إسلامي آخر، ولا كفران في ذلك طالما هو يعبد الله وحده ويؤمن بنبوة سيد المصطفين (ص) وقبلته قبلة المسلمين.

وأما مسالة الإمامة فلا خلاف بين علماء المسلمين على ضرورتها ، غاية ما في الأمر أن الأمامية يعدّوها نصا من الله تعالى ، بينما يذهب علماء الجمهور الى إنها تعينا انتخابيا لا نصا سماويا .

ومع هذا ؛ لم يؤثر عن أئمة أهل البيت (ع) أنهم وجهوا او أمروا على حمل الناس على الإيمان بإمامتهم كرها ، بل على العكس من ذلك فقد وجدناهم ينال منهم في الأسواق من قبل بعض الجهال فيقابلوا ذلك بحكمة بالغة ورحمة واسعة بقولهم ((ان كنت صادقا غفر الله لي وان كنت كاذبا غفر الله لك))[١]،ولم يجعلوا- أرواحنا فداهم- من مبدأ الإمامة معضلة يتكأ عليها المرجفون في شق عصا المسلمين ، وخير دليل على ذلك ما فعله أمير المؤمنين علي(ع) في قعوده عن المطالبة بحقه في إمرة المسلمين ،فسكت (وفي العين قذى وفي الحلق شجا)[٢].

---

[٢] م. ن /١٠٧ .

[١] الكافي ، للكليني ٢٢٥/٣.

[٢] نهج البلاغة ، لابن ابي الحديد :١/ ٣١.

كما وتجدر الإشارة الى الجهود المبذولة من قبل السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي(ت ١٣٣٧هـ) (١٩٥٧م) في مناظراته الأزهرية مع شيخ الأزهر سليم البشري التي اتسمت بحق بروح المحبة ومنتهى الشفافية بعيدا عن المذهبية المقيتة[٣].

وما أحوجنا اليوم الى مثل أولئك الأعلام الأفاضل الذين لايرمون من حياتهم الا خدمة الإسلام والمسلمين، يقول أستاذنا العلامة الدكتور محمد حسين الصغير: ((لو بقي أولئك الأعلام –من الشيعة والسنة- الى يومنا هذا ما آل حالنا الى ماهو عليه اليوم من الفرقة والتنازع والاقتتال))[٤].

ولا يخفى على كل ذي بصيرة وتدين أن من أعظم النعم التي امتن الله بها على المسلمين هي نعمة الألفة بعد الفرقة والمحبة بعد العداوة ، وبها صرّح الحق في قرانه المجيد بقوله عزّ من قائل :﴿... وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنْ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (آل عمران/١٠٣)، واذا كان الحال هذا وهو المتيقن فاننا سنسال يوم الدين عن هذه النعمة، فهل حفظناها ام أضعناها ؟ وواقعنا يصرح بالإجابة بما لا يقبل الشك أنّا قد أضعناها ، فهل كانت تلك النعمة عبثا ام هي لحكمة بالغة ومصلحة عظيمة اقتضت قضاؤه بها جل شانه؟ والأولى محال عليه سبحانه، فتعين الثانية ، فبأي شيء نجيب رب السموات والأرض؟

ومن اجل ذلك كله وجدت من المناسب جدا أن اختار موضوع هذا البحث والموسوم بـ (مباني الوحدة الإسلامية في الخطاب الإسلامي) لعلّي أسهم به في تقوية عصبة المؤمنين ورصّ صفوف المسلمين ، فقد قال رسول الله (صلى الله عليه واله): (من أصبح لا يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم)[١].

وأخيرا أرجو من الله العلي المقتدر ان لا يجعلني مع القوم الذين يفرقون الجمع ويمنعون من رأب الصدع .

---

[٣] (ظ) كتاب المراجعات ، شرف الدين الموسوي .

[٤] محاضرات الدكتور الصغير ، القيت على طلبة الدكتوراه في كلية الفقه /٢٠٠٨م.

[١] الكافي ، للكليني:١٦٣/٢.

بين يدي البحث

بادئ ذي بدء لابد من تسليط الضوء على المعنى اللغوي والاصطلاحي للوحدة الإسلامية ، تحقيقا للغرض المنشود من هذه الدراسة.

الوحدة لغة : لقد اجتمعت معاني الوحدة في كتب اللغة لتشتمل على ما يأتي : إنها الواحد وهو أول الحساب ، وانه كالأحد همزته بدل من الواو ، وقيل إن أصل احد وحد فبدلت همزته من الواو المفتوحة ، والوحد : المنفرد ، ورجل وحد : أي لا نظير له ، او لا أصل له ، والوحيد الذي لا أنيس معه ، والتوحيد الإيمان بالله وحده ، وفرق الوحدة عن الوحدانية : أن الوحدة بمعنى التخلي ، والوحدانية تفيد نفي الأشكال والنظراء ، ولا تستعمل في غير الله [1].

ومن ذلك كله يمكن أن يتدرج المعنى الاصطلاحي عن المعنى اللغوي ليكون معنى الوحدة الإسلامية في الاصطلاح هو :اتحاد المسلمين وتجمعهم على الثوابت المشتركة فيما بينهم ومحاولة رأب الصدع ونبذ الفرقة في الأمور الخلافية التي لا توجب خروجا عن الدين ولا عن جادة المسلمين.

---

[1] (ظ) كتاب العين ، الفراهيدي : ٣/ ٢٨٠ + الفروق اللغوية ، ابو هلال العسكري ٥٧٠ لسان العرب ، ابن منظور : ٣/ ٤٤٦+ مختار الصحاح ، عبد القادر /٣٦٤مجمع البحرين ، الطريحي : ١/ ٤٢+ معجم ألفاظ الفقه الجعفري ، د. احمد فتح الله /٤٤٢.

المبحث الأول:

الخطاب الوحدوي في القرآن الكريم..

بعث الله النبيّين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب ؛ ليشرّع لبني البشر القوانين التي تضمن لهم سعادة الدارين ؛ولأنّ سعادة المجتمع الإنساني لا تتحقق إلاّ بالألفة والمودة والاجتماع ، خلق الله الناس أمة واحدة ؛ ليحفظ النوع البشري من الانقراض ، إذْ أن الاختلاف هو الآفة الأكثر خطراً على الوجود البشري .

ولعل هذا كان الهدف الأسمى من بعثة الأنبياء (عليهم السلام) للناس ؛ ((ليرفع عنهم الاختلاف ويردّهم إلى وحدة المجتمع))[1] ، وقد صرّح القرآن في بعض آياته إلى أنّ الناس كانوا في بدء خلقهم أُمةً واحدةً لا اختلاف فيهم بين أفرادهم ، ثم ظهرت الاختلافات . قال سبحانه :﴿ **كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمْ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ** ﴾ (البقرة/٢١٣)؛ ولِذا سعى القرآن في طائفة واسعة من آياته الكريمة إلى الاعتناء بأمر الاجتماع بجعله موضوعاً مستقلاً خارجاً عن زاوية الإهمال ؛ للخطر الناجم عن التفرق والاختلاف ، وأهمية الوحدة والائتلاف من خلال جملة من الآيات النازلة على نبيه الكريم التي دعا بها الناس إلى سعادة الحياة وطيب العيش مجتمعين .

((فالجماعة هي القوة التي تحمي دين الله وتحرس دنيا المسلمين))[2] ، والنزاع ، والخلاف ، والفرقة من الأسباب التي تهدّد الدين ، وتنغّص حياة المسلمين ، ولا تُخلّف سوى الذلّ ، والهوان والفشل ، والخسران، وهذا – وأسفاه – ما عليه حال

---

[1] فقه الصادق ، الروحاني : ١٣/ ١٩٦ .

[2] فقه السنة ،الشيخ سيد سابق (معاصر) : ٢ / ٦٠٠ .

المسلمين اليوم . فأصبح مشهدهم كـ((مشهد خصومه عنيفة ، تغلو في الجدال، غلو الجهّال)) [٣].

وقد تعددت الآيات الداعية إلى الوحدة والجماعة بين آيات ترغّب بالإخاء والاجتماع، وأخرى تحذّر من التفرّق والنزاع . فحذّر سبحانه نبّيه الكريم بقوله : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ** إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (الانعام/١٥٩) .

وقد كشف الرسول (صلى الله علية وآله) عن هذه الطائفة وهو يحذّر عائشة بقولة : ((يا عائشة إنّ الذين فرقّوا دينهم وكانوا شيعاً ، إنّهم أصحاب البدعة والأهواء وأصحاب الضلالة من هذه الأمة)) [٤] ؛ ولذا فإنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان يقرأ الآية – آنفاً – ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ فَارقُوا دِينَهُمْ**..... الخ الآية[٥] .

ولا يخفى ما فيه من واضح البيان من أنّ الأُمة التي تفارق دينها أقرب ما تكون إلى النزاع ، والضياع، وإذا دبَّ النزاع فيها هانت ، وضعفت وأصبحت مرمى الأُمم وبُغيتها تداعى عليها – كما قال رسول (صلى الله علية وآله) – كان ((كما تداعى الأكلة على قصعتها))[١] .

وقد نبّه سبحانه المسلمين ، ولفت أنظارهم إلى خطر التنازع والتخاصم بقوله :﴿**.. وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ**.. ﴾[سورة الأنفال / ٤٦] ،((أي ولا تختلفوا بالنزاع فيما بينكم حتى يُورث ذلك ضعف أرادتكم ، وذهاب عزتكم ودولتكم))[٢]، ((مما يصطلم حوزتها ، ويفرّق جماعتها))[٣]، .

ولعل من أبْين الآيات على نبذ التفرق قوله تعالى:﴿ **وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾ (ال عمران/١٠٥)،ولاشك أن الاختلاف في هذه الآية لا يقصد منه الاختلاف في العقائد والآراء فان ذلك من الضروريات العقلية ،لاختلاف الافهام وتباين المدارك((لكن كما إن ظهور الاختلاف في العقائد ضروري كذلك دفع الاجتماع لذلك وردّه المختلفين الى ساحة الاتحاد أيضا ضروري فرفع الاختلاف ممكن مقدور بالواسطة وإعراض الأمة عن ذلك بغي منهم وإلقاء لأنفسهم في تهلكة الاختلاف))[٤]. فحذار حذار من بقاء الفرقة ، وتشتت اللفة ، واختلاف الكلمة ، وتنافر الأفئدة، وتجنب العزة واقتراب الذلة .

---

[٣] المراجعات ، شرف الدين / ٣ .
[٤] كتاب السنة الضحّاك / ٨ ، كنز العمال ،المتقي الهندي : ٢٢/٢ .
[٥] ظ : جامع البيان عن تأويل القرآن، الطبري ١٢٧/٨+التبيان ، الطوسي:٣٢٨/٤+ الميزان، الطباطبائي :٧ / ٢٩٢ .
[١] ظ : المسند أحمد بن حنبل : ٥ /٢٧٨ ، تاريخ دمشق ابن عساكر : ٢٢٠/٢٢ .

[٢] الميزان ،الطباطبائي : ٩ / ٩٥ .
[٣] الفصول المهمة، شرف الدين : /١١ .
[٤] الميزان ، الطباطبائي: ٣٧٣/٣.

وإذا كان سبحانه حذّر الأُمة من التنازع في هذه الآيات ، وسواها – مما قد يطول المقام بذكرها – وبيّن لهم سوء عاقبته ، وقبح خاتمته ، فقد حث في آيات أخرى ، ورغّب على رأب الصدع ، من خلال تأكيده سبحانه على أن من أحيا نفساً فكأنما أحيا جميع الناس بقوله:﴿ **وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا**﴾ (المائدة/٣٢) ،فالآية عامة في موضوعها اذ لم تخصص نفسا معينة بل كل نفس ولو كانت غير مؤمنة ، فضلا عن كونها مسلمة، من هذا المذهب أو ذاك، وأي آية تُشير إلى عمق الترابط الإنساني ، وقوة وشائجه أعظم من هذه الآية؟؟ .

ولعلّ من الآيات الآمرة ببناء المجتمع الإنساني على الاتفاق والإتحاد،والحاضّة عليه قوله سبحانه :﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (الحجرات/١٠) ، فالصلح في هذه الآية جعله الله سبحانه أمرا على المؤمنين ، وهو من دواعي نزول رحمته على عباده وخلاف ذلك الحرمان منها ، وهو على ما يبدو قانونا الاهيا﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (الانفال/٥٢)، ثم ان المقتتلين ((لايدل على أنهما إذا اقتتلا بقيا على الإيمان .. بل لا يمتنع ان يفسق احد الطائفتين ، أو أن يفسقا جميعا))[١] .

ولعل أجلى الآيات وضوحاً على لزوم الوحدة ونبذ الفرقة هو قوله تعالى:﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا** ﴾ (ال عمران/١٠٣) ، الذي يُوجب ظاهرها لزوم التمسك بحبل الله ، ومع ان عبارات المفسرين قد اختلفت في معنى(الحبل)، فقيل: هو القران ، وقيل: هو دين الله ، وقيل: هم أهل البيت(عليهم السلام) الذين طهرهم الله من كل دنس، إلا انه يمكن حمل ذلك على الجميع[٢]، فالقران هو كتاب الله والإسلام هو دين الله وأهل البيت هم عدل القران ،لما جاء في الحديث المتواتر عنه (صلى الله عليه واله) انه قال :((وإني تارك فيكم الثقلين[٣] كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بها لن تضلوا ...))[٤] ، وعلى اية حال ،فالأمر الإلهي يدعو إلى الوحدة بين المسلمين ،و الترغيب في الاجتماع والأُلفة،((وأن يُؤثروا وحدتهم الإسلامية على خصائصهم المذهبية))[٥] فلا تعصب ، ولا تنازع ، فأين نحن من كل ذلك وما عذرنا الذي به نعتذر عند علاّم الغيوب ان سألنا عن سبب مخالفتنا لنص الآي ألقراني الآمرة بالتوحد لا الفرقة التي عليها نحن اليوم ؟؟

---

[١] التبيان ، للطوسي : ٣٤٥/٩.

[٢] (ظ)مجمع البيان ، للطبرسي :٣٥٦/٢.

[٣] واحدهما ثقل ، وهو متاع المسافر الذي يصحبه إذا رحل ، ويسترفق به إذا نزل ، فأقام عليه الصلاة والسلام الكتاب والعترة مقام رفيقه في السفر ، وقيل إنما سميا ثقلين ؛ لأن الأخذ بهما ثقيل ظ : المجازات النبوية ، الشريف الرضي / ٢١٨ ، ٢١٩ .

[٤] ظ : الخصائص النسائي: / ٩٣ + المستدرك الحاكم النيسابوري : ٣ / ١٦٠ ، فلك النجاة الحنفي : / ٣٠ ، نظم درر السمطين الزرندي الحنفي : / ٣١ .

[٥] إلى المجمع العلمي العربي ، شرف الدين : /١٤

المبحث الثانيً :

الخطاب الوحدوي عند النبي وأهل بيته (صلوات الله عليهم)..

لم تكن السنة الشريفة بأدنى عناية ، ولا أقل رعاية من كتاب الله جل جلاله في بيان وحدة المسلمين ، والتشديد على رعايتها ؛ لأنّها أُسّ العزة وأساس القوة، إذْ سعى رسول الله (صلى الله عليه وآله) من أول أيام الدعوة إلى خلق مجتمع متحابّ ، متراحم ، مبنيّ على أصول المودة ، والأُلفة والأخوة ، والولاء بعضهم لبعض ، فآخى بين المسلمين في مكة وكانت تلك المؤاخاة الأولى، ثم آخى ((بين الأنصار والأنصار ، وبين المهاجرين والأنصار))[1] في المدينة في المؤاخاة الثانية، وقد كانت المؤاخاة الثانية مثالاً إنسانياً راقياً ، لم يكن له نظير في المجتمع الإنساني إلى يومنا هذا.

و الحق إنّ ما صنعه رسول الرحمة (صلى الله عليه وآله) من جمع المسلمين في المدينة على صعيد واحد من المودة والإيثار ، لم يكن ليقدر عليه غيره (صلى الله عليه وآله) إذْ أصبح المسلمون يتناصفون أموالهم بينهم ، بل أنّ الأنصاري ليطلّق أحدى زوجتيه ؛ ليتزوجها أخوه المهاجري بعد انقضاء عدتها[2] .

وكان المهاجري يرث الأنصاري ، والأنصاري من المهاجري ولا يرث وارثه الذي كان بمكة، وإنْ كان مسلماً؛ لقوله تعالى:﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَنَصَرُوا أُوْلَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلاَيَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنْ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾(**الانفال/٧٢**).

---

[1] تفسير الصافي الفيض الكاشاني : ٣١٥/٢ .

[2] ظ المسند: أحمد بن حنبل : ٢ /١٩٠ .

والحق إنّ أحاديث الرسول(صلى الله عليه وآله) بخصوص وحدة المسلمين ، وجمع كلمتهم ، والتأسيس لها ممّا لا يمكن الإلمام بعددها ليس خشية الإطالة فحسب ، بل لأن الخوض فيها ممّا يستدعي بحوثاً مستقلة ؛ لذا فسيتم التعرض-إنشاء الله- لما يفي الغرض و يكفي المقام، إذْ من أبرز أحاديث الرسول في هذا المضمار قوله : ((مثل المؤمنين في توادهم ، وتعاطفهم ، وتراحمهم مثل الجسد إذا اشتكى منه شيء تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى))[٣] ، والحديث دعوة صريحة ، وواضحة من النبي للتكاتف ، والتآلف ، فهو (صلى الله عليه وآله) يشبّه المؤمنين بالجسد الواحد ؛ لربط قلوبهم ، ومشاعرهم ، وكأنها قلب رجل واحد يتحسس لآلام أعضائه من غير فرق بين عضو ، وآخر .

ولم يكتف الرسول (صلى الله عليه وآله) ببث روح المواساة ، والمؤاساة بين المسلمين في الحديث – المار آنفاً – بل راح يؤسّس لحقوق أوجبها على المؤمنين ، وعدّها (صلى الله عليه وآله) سمة للإيمان ، فلا إيمان لمن لم يعتقد بها ، ويعتنقها ، ويعمل على تحقيقها كقوله (صلى الله عليه وآله) :((لا يؤمن أحدكم حتى يُحبّ لأخيه ما يحب لنفسه))[١] ، موافقاً ، وسائراً على النهج الربّاني في تنقية النفوس ، وتربيتها على نكران الذات ، ومحاربة الأنانية ؛ من أجل خلق مجتمع يتفانى بعضه في إيثار بعض كما وصفه سبحانه بقوله :﴿ **وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ**﴾ (الحشر/٩) .

من هنا وضع الرسول (صلى الله عليه وآله) للدعاء آداباً ندب المسلمين إلى العمل بها ، ورغّبهم فيها بقوله :((إذا دعا أحدكم فليعّم ، فإنّها اوجب للدعاء))[٢] كما أنه (صلى الله عليه وآله) سعى لجمع القلوب ، وتوحيد المشاعر بما ورد عنه من الأحاديث التي أكدت أن من مضّان استجابة الدعاء وضمان قبوله، هو دعاء المرء لأخيه بظهر الغيب كقوله(صلى الله عليه وآله) :((إنّ ممّا لا يُردّ من الدعاء دعاء المرء لأخيه بظهر الغيب))[٣].

وورد ((أن الداعي لأخيه بظهر الغيب يُقال له من الملأ الأعلى و لك مثلاه ، وفي روايات أُخر مائة ألف ضعف))[٤] ؛ ولكي لا تقسو القلوب بطول الهجران فتورث القطيعة بين الأخوان قال (صلى الله عليه وآله) :((لا يّحل لمسلم أنْ يهجر أخاه فوق ثلاث يلتقيان ،فيصد هذا ، ويصدّ هذا ، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام))[٥] .

ومازال رسول الله (صلى الله عليه وآله) يسعى لجمع شمل المسلمين ، ورأب صدعهم ، وهو ينادي بهم في كل محفل ، وناد :((كونوا عباد الله أخواناً المسلم أخو

---

[٣] المسند ، أحمد بن حنبل : ٢٧٧/٢ + الصحيح ، مسلم : ١١/٨ + أمالي المرتضى ، الشريف المرتضى : ٨٤/٢ .

[١] صحيح البخاري ، البخاري٩/١ +صحيح مسلم ٤٩/١ + كنز الفوائد الكراجكي : /١٤٠ + بحار الأنوار المجلسي : ٢٦٦/٧١ .

[٢] الكافي ، الكليني : ٤٨٧/٢ + بحار الأنوار، المجلسي : ٩ /٢١٢ .

[٣] تاريخ دمشق ، أبن عساكر : ٢٥ / ١٣٩ .

[٤] التحفة السنية في شرح نخبة المحسنية ، الفيض الكاشاني / ١٤٧ .

[٥] الصحيح، البخاري : ٧ /١٢٨ .

المسلم لا يظلمه ، ولا يخذله ، ولا يحقره))[٦] ، حتى جعله الله سبباً للتأليف بين الأوس ، والخزرج اللذَينِ كانا ((أخوين لأبوين فوقع بين أولادهما وتطاولت الحروب مائة وعشرين سنة حتى أطفاءها الله بالإسلام))[٧] ، وببركة خلقه العظيم(صلى الله عليه وآله) .

وقد سار أمير المؤمنين ، و العترة الطاهرة (عليهم السلام) على النهج النبوي ذاته في لمّ الشمل ، ورتق الفتق -ما وسعهم ذلك- ، متبعين سنة جدهم المصطفى (صلى الله عليه وآله) الذي كان يدعو لقومه رأفة بهم ، وشفقة عليهم ، مع ما كان يُلاقيه من عنت ، وجور[٨].

إذْ رحل رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعد أن خلّف علياً إماماً للمسلمين ، ومتولياً لأُمورهم ، فما كان من أمير المؤمنين عليه السلام – وهو خليفة الرسول الشرعي- إلاّ((أن يقدّم حقه قرباناً لحياة المسلمين))[٩]، وحفاظاً منه على بيضة الإسلام ، وكلمة التوحيد ((واحتفاظاً بالأُمة، واحتياطاً على الملة ، وضناً بالدين وإيثاراً للآجلة على العاجلة))[١] ، فضحّى بحقه في خلافة المسلمين – الذي منحه إبان ربّ العالمين في كتابه المبين، وعلى لسان سيد المرسلين ؛حرصاً منه -عليه السلام -على وحدة المسلمين ، وإبقاءً على قوتهم، وليس أدل على ذلك من امتناعه عليه السلام عن قبول مبايعة أبي سفيان حين قال له : ((أبسط يديك أبايعك ، فو الله لئن شئت لأملأنّها على أبي فصيل – يعني أبا بكر – خيلاً ورجالاً))[٢] فقال له أمير المؤمنين عليه السلام – لعلمه بإنّ أبا سفيان – لم ينطو ((فعله هذا إلا على الفتنه وشق عصا المسلمين))[٣]: ((والله إنك ما أردت إلاّ الفتنه ، وإنك والله طالما بغيت للإسلام شراً))[٤]

وما أنفك أمير المؤمنين عليه السلام يوصي المسلمين في حلّه و ترحاله ، في سلمه وحربه ، ويذكّرهم بقوله : ﴿ **وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا** ..... الخ الآية ﴾[٥]، مقتدياً بخلق الرسول الكريم ، ومستنيراً بنهجه القويم ، الذي ما فتئ يدعو المسلمين إلى التكاتف ، ورصّ الصفوف حتى أواخر أيامه حين عقد اللواء لأسامة بن زيد وجهزّه ، وكان ممّا أوصاه ((ألا إن الناس لآدم وادم من تراب ، وأكرمهم عند الله اتقاهم))[٦]، وقد استمر أهل بيت العصمة على ما مضى عليه رسول الله ، وأمير المؤمنين من الحرص على لحمة المسلمين ووحدتهم، مع ما لاقوه من جور وظلم تنوء بحمله

---

[٦] المسند ، أحمد بن حنبل : ٢٧٧/٢+ الصحيح مسلم : ١١/٨ .
[٧] مستدرك سفينة البحار ،الشاهرودي ، على النمازي : ٢٤٦/١ .
[٨] حتى أنهم كانوا((يضربونه حتى يُصرع فيمسح جبهته ويقول : اللهم أغفر لقومي أنهم لا يعلمون)) المسند،أحمد بن حنبل : ٤٤١/١ .
[٩] المراجعات ، شرف الدين ، (المراجعة١٠٢) / ٢٨٣ .
[١] النص والاجتهاد، شرف الدين : / ٣٨٢ .
[٢] بحار الانوار، المجلسي : ٢٨ / ٣٢٨ .
[٣] الفصول المهمة ،شرف الدين : /٩١ .
[٤] بحار الانوار، المجلسي : ٢٨ / ٣٢٨
[٥] ظ : واقعة صفين ، ابن مزاحم : / ٢٠٤ + شرح النهج ، ابن ابي الحديد : ٤ / ٢٦ .
[٦] وسائل الشيعة ، الحر العاملي : ٣٣٥/١١ .

الجبال الرواسي، إذْ عرض ((أهل البيت مبدأ الوحدة الإسلامية بكل قوة شعاراً ، وشعوراً ، وسلوكاً مميزاً ، وأصّلوه ،وعمّقوه بسيرتهم رغم كل الانحرافات التي طالت الأُمة ، ورغم كل الإقصاءات التي حصلت لهم من قبل أعداء الأمة ، وطواغيتها من حكام الضلالة))[٧].

ولعل الإمام علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب زين العابدين (ت٩٥هـ) ، وسيد الساجدين أوفر أئمة الهدي نصيباً من الحيف ، والجور – الذي لحق بهم جميعاً (عليهم السلام) – وهو يُراقب مصرع والده السبط الشهيد ، وأهل بيته ،وأصحابه وقد اجتمعت عليهم جيوش الضلالة من بني أُمية – في العاشر من محرم الحرام سنة أحدى وستين للهجرة – من غير أن يرقبوا في دماء أهل بيت النبي إلاً ، ولا ذمة ، فلم يتركوا حرمةً لله إلاّ وانتهكوها ، ولم يراعوا ديناً ، أو نسباً ، أو عرفاً ، متجاوزين – في ظلمهم – الأولين والآخرين[٨] .

ومع ذلك فما أنفك الإمام السجاد عليه السلام يدعو لتلك الجيوش بالنصر والظفر بقوله:((اللهم صلِ على محمد وآل محمد وحصن ثغور المسلمين بعزتك ، وأيّد حماتها بقوتك ، وأسبغ عطاياهم من جنتك ، اللهم صلّ على محمد وآله ، وكثرّ عدتهم ، واشحذ أسلحتهم ، وأحرص حوزتهم ، وامنع حومتهم ، وألّف جمعهم .... الخ دعائه عليه السلام [١].

فهل بربّك نفس أعظم من تلك النفس التي يدعو صاحبها لقتلة أهل بيته ؟؟؟ الذين قُطّعوا، وحُرّقوا، ومُثّل بهم إلى غيرها من الأفعال التي اقشعرت لها الأبدان واهتز لها عرش الرحمن[٢].

فتامل!!هل هناك أرأف ، أو أشفق على جمع المسلمين ، ووحدتهم من هذا الإمام البارّ ، الرحيم وهو يدعو لهم بهذا الدعاء . ولا عجب !!! فهذا السلسبيل من الرحمة التي تجود بها نفس الإمام السجاد عليه السلام ، هي من ذلك المعين الحُسيني ، الذي أهمل عيون السبط الحسين بن علي عليه السلام – وهو يرى أنّ تلك الجموع الزاحفة لقتله وسبي عياله – سيدخلون النار بسببه .

وقد ورث أئمة الهدى (عليهم السلام) كابراً عن كابر تلك الهموم المتقدة في نفوسهم ، من العناية بوحدة المسلمين ، وإشغال الفكر في السبيل لتحقيقها ، فراحت قلوبهم المتعلقة بالملأ الأعلى تفيض على المسلمين بتلك الكلمات النورانية التي راموا من ورائها جمع الشتات ، وصرف القلوب عن الأحقاد ، والضغائن ، إذْ رُوي عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال : ((أوشك دعوة وأسرع إجابة دعوة المرء لأخيه بظهر الغيب))[٣] .

---

[٧] ـ مجلة فقه أهل البيت ، فقه الوفاق عند شرف الدين، منذر الحكيم : / /٢٢٨ .

[٨] مقتل الحسين (عليه السلام) ، أبن مخنف / ٣٠٤ .

[١] الصحيفة السجادية ، الإمام زين العابدين : علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام) /١٤٠ .

[٢] ظ : مقتل الحسين (عليه السلام) أبن مخنف: / ٣٠٤ + مقاتل الطالبيين ، الأصفهاني : / ٦٢-٨٣ .

[٣] منتهى الطلب العلامة الحلي : ٣٥٧/١ .

وورد عن الإمام الصادق عليه السلام قوله : ((إذا قال الرجل: اللّهم أغفر للمؤمنين والمؤمنات ، والمسلمين والمسلمات ، الأحياء منهم ، وجميع الأموات ردّ الله عليه بعدد ما مضى ، وما بقي من كل إنسان دعوة))[٤].

وورد عنه عليه السلام : ((المسلم أخو المسلم ، وهو عينة ، ومرآته ، ودليله لا يخونه ، ولا يخدعه ؛ ولا يظلمه ، ولا يكذبه ، ولا يغتابه))[٥] .

وروي عن الإمام الكاظم موسى بن جعفر عليه السلام : ((ملعون ، ملعون من أنّهم أخاه ، ملعون ملعون من غشّ أخاه ، ملعون ملعون من لم ينصح أخاه ، ملعون ملعون من أستأثر على أخيه ، ملعون ملعون من اغتاب أخاه))[٦] .

ويمكن القول إنّ الإمام الكاظم عليه السلام جمع في الحديث جُلّ حقوق الإخوان ،وإتماماً لتلك الحقوق يقول عليه السلام في حديث آخر : ((إنّه من دعا لأخيه بظهر الغيب نودي من العرش و لك مائة إلف ضعف))[١]، إلى غير ذلك من الأحاديث والأدعية التي أدبّ بها أئمة الهدى (عليهم السلام) عامة المسلمين ، وشيعتهم على الخصوص، الذين مابرحوا يتناقلون تلكم النسائم المحمدية جيلاً بعد جيل ، لا فرق بين المتقدمين منهم ، والمتأخرين في السعي الحثيث ؛ لشدّ عُرى الوحدة ، ليس بين أبناء المذهب ألإمامي ، فحسب بل بين أبناء الإسلام أجمع .

وبعد كل هذا فالمعلوم أن اعتماد المسلمين بشتى طوائفهم واختلاف مذاهبهم وتباين مشاربهم في استنباط الحكم الشرعي على الكتاب والسنة الشريفة ، وقد تقدم بيان الخطاب الإلهي والرسالي في ما يخص الأمر على وحدة الأمة وتآلفها ، والنهي عن الفرقة والتنازع فيما بيننا ؛ فأي حجة نحتج بها عند رب الخلائق ؟ وهل يمكن أن نجري في حقنا أصالة براءة الذمة كوننا لسنا نعلم بالحكم الشرعي إزاء ذلك ، كما لم يتبين او ليس بمقدورنا إدراكه؟! ولا أجدنا إلا مقصرين في حق أنفسنا وشعبنا وامتنا الإسلامية ، لا قاصرين، والى الله المشتكى ومنه نستمد العون ونسأله المغفرة انه سميع مجيب .

---

[٤] الكليني : الكافي ٥٣٠/٢ .
[٥] بحار الأنوار،المجلسي : ٧١ / ٢٧٠ .
[٦] م .ن : ٧١ /٢٣٧ .
[١] منتهى الطلب ، العلامة الحلي : ٣٥٧/١ .

المبحث الثالث

الخطاب الوحدوي عند علماء الإسلام :

لا يختلف عاقلان في أن وحدة أي امة هي الركيزة الأساسية في نهضتها وارتقائها ، ومن اجل ان تتحقق هذه الوحدة يكل أبعادها ،لابد من الرجوع الى أئمة الهدى (عليهم السلام) لأنّهم أمان الأُمة من الاختلاف((إذا طغت لجج النفاق ، وعصفت عواصف الشقاق))[1] -؛ لذا فقد انبرى مجموعة من العلماء الأعلام بدعوة جميع المسلمين بأنْ يدخلوا ((مدينة العلم النبوي من بابها ، ويلجوا من باب حطة ، ويلجأوا إلى أمان الأرض))[2] ، وصرّحوا في أكثر من مقام بأن(الشعث لا يُلم ، وعقد الاجتماع لا ينتظم إلاّ بتحرير مذهب أهل البيت كأحد مذاهب المسلمين)[3]، وقد تكلّلت دعاوى هؤلاء الأعلام المخلصين لدينهم ، بالتقريب بين المسلمين ، وربط وشائجهم بما أسفرت عنه مناقشاتهم العلمية المتسمة بروح المحبة والالفة ، من إصدار الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر فتواه بعدّ المذهب الجعفري كأحد مذاهب المسلمين في جواز التعبد به والتي نصها ((إنّ مذهب الجعفرية المعروف بمذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية مذهب يجوز التعبّد به شرعاً كسائر مذاهب أهل السنة . فينبغي للمسلمين أن يعرفوا ذلك ، وأنْ يتخلصوا من العصبية بغير الحق لمذاهب معينة ، فما كان دين الله وما كانت شريعته بتابعة لمذهب ، أو مقصورة على مذهب ، فالكل مجتهدون مقبولون عند الله تعالى يجوز

---

[1] ظ : المراجعات ، / (المراجعة٦) ص١٨ ، الفصول المهمة ، شرف الدين / ٢٥٦ .
[2] الفصول المهمة / ٢٦١ .
[3] ظ : : المراجعات ، شرف الدين / (المراجعة ٤) ص١٦ .

لمن ليس أهلاً للنظر والاجتهاد تقليدهم، والعمل بما يقررّونه في فقههم ، ولا فرق في ذلك بين العبادات والمعاملات)).[٤]

و تجدر الإشارة الى ان علماء الشيعة الامامية يعدون بحق روّاد حركة التقريب بين المذاهب ، وواضعي اللبنات الأُولى لمشروع الوحدة بتأسيسهم لفقه الوفاق[٥] . وقد تجسدت ريادتهم تلك في طائفة من علماء الإمامية الإثني عشرية كالشيخ محمد حسين كاشف الغطاء ، والشيخ محمد تقي القمي، والشيخ محمد رضا المظفر ، والشيخ عبد الحسين الاميني ، والسيد محمد تقي الحكيم ،والشيخ عبد الكريم الزنجاني، وغيرهم[٦] وصولاً إلى السيد الشهيد محمد باقر الصدر (قد) مضافاً لأقرانهم من علماء الجمهور وعلى الخصوص علماء الأزهر الشريف كالشيخ البشري ، والشيخ شلتوت وسواهما من ساروا على خطا شرف الدين في اعتماد فقه الوفاق سبيلاً لوحدة الأمة وتوحيد الصف ، وفي هذا الإطار ، ودعماً لفكرة التقريب التي تبنّاها أولئك الأشراف من العلماء ، ونادوا بها أثمرت جهودهم (قدس الله اسرارهم) في ((إنشاء دار التقريب بين المذاهب التي بدأت أعماله بالقاهرة قبل أكثر من نصف قرن (١٣٦٨هـ - ١٩٤٧م)))[١] لتكون التطبيق العملي لمشروع الألفة والمحبة ولتأتي شجرة الوحدة – التي زرعها الإسلام وحثّ عليها ، بخطاباته القرآنية والنبوية – أكُلها ؛ ليهنأ بها ، ويستظل بظلها أبناء مذاهب الإسلام جميعاً فتذوب الجنسيات ، والمذاهب في بوتقة الإسلام ، وها هو الشيخ شلتوت (ت١٣٨٣هـ)[٢] يشير الى أهمية تلك الدار في دعم فكرة التقريب فيقول ((إنّ تلك الدار يجلس فيها المصري بجانب الإيراني ، واللبناني ، والعراقي ، والباكستاني ، أو غير هؤلاء من مختلف الشعوب الإسلامية حيث يجلس الحنفي ، والمالكي ، والشافعي ، والحنبلي بجانب الإمامي ، والزيدي حول مائدة واحدة .... وفيها روح الأُخوة ، والمودة ، والمحبة))[٣] وها هو المنهج النبوي في الدعوة إلى أهل بيت الرحمة يكون سبباً لاستبصار ، واهتداء طائفة واسعة من مفكري الجمهور ، ومثقفيهم كالتيجاني ، وخليفات ، وآل فطيط وغيرهم ممّن تأثروا بفكر المذهب الامامي ، واستناروا بنهجه .

---

[٤] (ظ) المراجعات ، شرف الدين/٣١٧ + كتاب الوحدة الإسلامية، عبد الكريم الشيرازي /٢٢ .

[٥] أول من أسس لهذا الفقه هو السيد عبد الحسين شرف الدين(ظ) : فقه الوفاق في تراث شرف الدين /مجلة فقه أهل البيت ، منذر الحكيم .

[٦] (ظ) م . ن: ٣٨ / ٢٣١ .

[١] الإمامان البروجردي وشلتوت رائدا التقريب (مجموعة مقالات) / أعداد المعاونية للجمع العلمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية/ ١١٥ .

[٢] سار الشيخ شلتوت على هدى الشيخ البشري في اقتفاء أثره في تحقيق فكرة التقريب ، وجعلها واقعاً . ملموساً فكان له في ذلك تابعاً ولطريقه سالكاً ، والشيخ محمود شلتوت (١٣١٠ – ١٣٧٣ هـ) فقيه ، ومفسر مصري ، ولد في منبه بني منصور (البحيرة) وتخرج بالأزهر عام ١٩١٨ م ، وكان داعية أصلاح ، منير الفكرة ، يقول بفتح باب الاجتهاد ، وسعى إلى إصلاح الأزهر فعارضه بعض كبار الشيوخ وطردوه هو ومناصروه ، ثم أعيد إلى الأزهر عام (١٩٥٣م) ظ : الإعلام : الزركلي ٧ / ١٧٣ .

[٣] الإمامان البروجردي وشلتوت رائدا التقريب: (مجموعة مقالات)/١١٥.

و تجدر الإشارة الى إنّ طائفة من علماء الإمامية الإثني عشرية شاطروا جماعة التقريب مهمة الدعوة إلى نبذ الفرقة ووحدة الصف ، وفكر آل محمد (عليهم السلام) كالشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء (ت١٣٧٣هـ) الذي دعا – في المؤتمر الإسلامي في باكستان عام (١٩٥٢م) – إلى الوحدة ، ونبذ ما سواها من دواعي التفرق بقوله : ((أيها الناس كلكم لأدام وأدم من تراب ، وأن الرسول الأعظم آخى بين صهيب الروحي ، وبلال الحبشي ، وسلمان الفارسي ، وأبي ذر العربي ، وأن الإسلام دين التوحيد ، دين الوحدة ، دين المساواة ، دين محق العصبيات ، ودين سحق العنصريات ، ونبذ القوميات ، وعنعنات الطبقات ، والتفاخر بالأنساب ، والتعالي ، والتفوق بالآباء والأمهات))[٤] ، ولا زالت كلماته (قد) تدوي في سماء الإسلام حين زار بغداد في ١٣ رجب عام (١٣٦٨هـ -١٩٤٩م) وقد احتشدت الجماهير التي كانت تقدر بخمسة آلاف في حسينية باب السيف الكرخ ،فألقى خطاباً تاريخياً دام زهاء أربع ساعات دعا فيه في المسلمين إلى الوحدة وكانّ مما قاله : ((أن الإسلام بُني على دعامتين كلمة التوحيد ، وتوحيد الكلمة))[٥] ، مختصراً (قد) كل الحلول لجميع مشاكل المسلمين في هاتين الكلمتين . لتأتي كلمة كاشف الغطاء ودعواته لوحدة المسلمين في باكستان ، وبغداد وغيرها متناغمة متناسقة مع دعوات دار التقريب في مصر لتنصهر في المشروع الوحدوي الذي رام به علماء الإسلام ة إنقاذ الأُمة من براثين الاحتلال الغربي برصّ الصفوف ، وتوحيد الكلمة. كما أنّ الليالي الأزهرية المصرية التي نورتّها مراجعات شرف الدين والبشري[١] ، لم تكن وتراً في أطروحتها ، ودعوتها الى مذهب أهل البيت(عليهم السلام)، بل قاسمتها ذات الرؤى والأهداف ليالي بيشاور[٢]الباكستانية التي كان فيها سلطان الواعظين [٢] خير سفير ، وداع لفكر أهل البيت ، ومذهبهم يتناصف ، ويتقاسم إخلاص النية مع غيره من أعلام التقريب بين المذاهب[٣] في الدعوة الى كلمة سواء تجمع المسلمين على

---

[٤] المراجعات الريحانية ١ / ١٩ .

[٥] م . ن ٣١/١.

[١] (ظ) كتاب المراجعات ، للامام شرف الدين الموسي ، واطلع على تلك الروح السمحة لكلا العلمين الموسوي والبشري شيخ الازهر.

[٢] ظ ليالي بيشاور، سلطان الواعظين ، محمد الموسوي / ١٧ .

[٢] وهو السيد محمد الموسوي الشيرازي من أعلام القرن الرابع عشر الهجري ، ناظر علماء العامة المعاصرين له بناءاً على طلبهم واستمرت المناظرة لمدة عشرة أيام من ليلة الجمعة الثالث والعشرين من رجب عام (١٣٤٥هـ) الى ليلة الأحد الثالث من شعبان بحضور جمع غفير من أبناء ووجهاء الطائفتين في دار أحد وجهاء بيشاور الباكستانية ، وقد حضر عشرون كاتب وصحافياً ليدونوا وينشروا ما يجري أولاً بأول ، وقد انتهت هذه المناظرة باستبصار طائفة من علماء العامة . (ظ) : تراثنا : مجلة فصلية تصدرها مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث – ٦١ / ٢٢٦ .

[٣] ولعلّ في الحادثة الآتية خير شاهد ودليل على الإخلاص الذي غمر قلوب علماء الإمامية فصار أصلاً ، ومنهاجاً إذ بعث الملك فيصل مع ناموسه الخاص إحسان الجابري الى سماحة السيّد بدرة فيها خمسة آلاف دينار من الذهب فأبى السيد أخذها قائلاً لم تكن ثورتنا من أجل المال

صـفاء النوايـا ، وألفـة القلـوب ، ووحـدة الكلمـة لينـالوا السـعادة فـي الـدارين .

المبحث الرابع

أسباب الفرقة والتنازع والسبيل لتحقيق الوحدة :

لابد لكل من تبنّى قضية الوحدة بين المسلمين وتطوّع لحمل أعبائها – فهي القضية الأخطر في سلسة قضايا الأمة ، والدفاع عنها هو الأقدس في نظر أبنائها – بادئ ذي بدئ – من الوقوف على الأسباب الداعية للفرقة والمسببة للنزاع.

ومن هذه الأسباب ، ما كانت سياسية تعنى بمصالحها فحسب وبكل ما من شانه أن يديم الجلوس على الكرسي و التسلط على رقاب الناس، وان استدعى ذلك نشر الفرقة بين أبناء الشعب الواحد ، على نظير سياسة(فرق تسد) ، أو حتى إراقة دمائهم في الشوارع بحجة أو من دون حجة.

ومن الأسباب ما كانت مذهبية عقائدية ، إذ أن حب (الأنا)وحب الدنيا يسيطران على بعض العقول ، فلا يرى صحيحا إلا ما اعتقد به ، ولا باس في ذلك اذا ما كان في حدود دائرته ، من دون استخفاف بعقائد الغير أو التصريح بتسفيه أحلامهم، فان(لكل فعل رد فعل) وردّ الفعل هذا هو ما يؤدي الى الفرقة والتنازع بين أصحاب الدين الواحد على وجه الخصوص، وقد نهانا سبحانه عن سبّ المشركين تحسبا من ردة الفعل تلك ، قال عز وجل:﴿ **وَلاَ تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الأنعام/١٠٨).**

ومن تلك الأسباب أيضا ما كان وراؤها أياد خفية ودوافع استعمارية ، وهواجس صهيونية ، فان هذه الأغراض تستدعي التفريق بين أبناء الشعب الواحد إذ أن الوحدة

ولكنها عقيدة دينية تستجيب لها كلما خشينا على تراث محمد أن يُصاب .(ظ) دراسات في التراث الأدبي ، د . عبد المجيد زراقط / ٣٧٤ .

مرعبة لأولئك، ولذا قاموا بمحاولات عديدة وعلى مرّ العصور ، فلم يفلحوا في ما مضى، لشدة تنبه المسلمين وقوة الوازع الديني لديهم ، ونجحوا في العصر الحاضر أيما نجاح بسبب ابتعادنا عن القران ومخالفة سنة نبينا واله الأطهار فقد جاء في تقريرا لمؤتمر الذي عقدته أللاستخبارات الأمريكية (cIA) عام ١٩٨٣م ((إن المواجهة المباشرة مع الشيعة فاشلة ؛لأنها تقوي شوكتهم وتضاعف من مواجهتهم .. وعليه أيضا يجب إتباع السياسة البريطانية (فرق تسد)، وإشاعة التفرقة بين الشيعة أنفسهم ، وبينهم وبين السنة))[١].

وهو ما يحصل اليوم على الساحة العراقية وبكل أسف فهذا المسلم السني يقتل أخاه المسلم الشيعي، وبالعكس ، وهاؤم الشيعة يتقاتلان فيما بينهم ، وأولئك السنة يقتل بعضهم بعضا، والجميع يطبق بشكل أو بآخر ما يصبو إليه المستعمر الذي يتربص بنا الدوائر، فهل منا عاقل يسال لماذا هذا التناحر فيما بيننا ؟ وأين مراقبة الله في كل ذلك ومن ياترى بفعلنا هذا أفرحنا ؟ نبينا أم عدونا؟ وسأدع لك الإجابة أيها الأخ المؤمن فـ((إن المسلمين إلى المسالمة أحوج منهم إلى الملاكمة))[٢]. لان الأمة((إذا كانت أوزاعاً متباينة ، وشيعاً متباغضة لاهية بعيشها ، غافلة عن رقيبها لتكونن حيث منابت الشيح ، ومهافي الريح ، أذلّ الأمم داراً ، وأجدبها قراراً ، مذْقة الشارب ، ونهزة الطامع ، وهدف السهام ، وقبسة العجلان ، في باحة ذل ، وحلقة ضيق ، وعرصة موت ، وحومة بلاء))[١] .

فما احرانا أيها الشرفاء ، وما احرانا أيها المسلمون أن يغض بعضنا عن بعض ، وان نتناسى العداوة والأحقاد ؛ لان ورائنا من هو اشد حقدا وانكى ضررا ، يترقب بنا الفرقة والاختلاف ليثب وثبة الليث فلا يبقي ولا يذر ، ولا يقعدنا أن تسلطت دول الكفر علينا ولا ييئسنا أن دخلت أمريكا دارنا فباتحادنا (سيُهزم الجمع ويولي الدبر) .

وهنا يرد سؤلا ملحا ، كيف السبيل الى الوحدة الإسلامية المنشودة التي بها يصدق علينا الإيمان ونحظى برضا الرحمن ورضا نبييه سيد الإنس والجان؟ وللإجابة عن ذلك نقول:

بات المسلمون في العراق وخارجه ضعفاء مهزومين من داخل أنفسهم ، بسبب ما عليه واقعهم المرير من الفرقة والتشتت ، وينبغي على المخلصين من هذه الأمة أن يدركوا خطر هذه الحال ، وان يجعلوا الحلول الناجعة في تأليف الأمة وجمع شتاتها، فانه((لا تتسق أمور العمران ، ولا تستتب أسباب الارتقاء ، ولا تنبث روح المدنية ، ولا تبزغ شموس الدعة من أبراج السعادة ، ولا نرفع عن أعناقنا نير العبودية بيد الحرية إلاّ باتفاق الكلمة))[٢] ، وهذه بعض ما يراه الباحث من حلول:

---

[١] مقتبس من احد مواقع الانترنيت عن جريدة لواء الصدر ، نقلا عن كتاب الإمام الحسين شمس لن تغيب ، جميل الربيعي / ٢٢٧.

[٢] أجوبة مسائل جار الله ، شرف الدين /١٨.

[١] الفصول المهمة ، شرف الدين : /٩ .

[٢] م . ن /٩ .

١ -الإيمان الحقيقي بالله وملائكته ورسله ، فان ذلك يؤدي بنا الى التفكر في خلق الله وإتباع أوامره ، وردع النفس عن كل ما نهى عنه سبحانه، سواء ما كان نصا قرآنيا ، ام كان نصا نبويا شريفا، وقد ثبت في ما تقدم أن خطابهما غير متباين في الدعوة الى الوحدة ونبذ الفرقة .

٢ -التمسك الجاد بالعقائد الإسلامية الصحيحة ، واحترام ما يعتقد به كل مسلم ، فانه وان كانت مشاربها متباينة إلا إن هدفها واحد وهو عبادة الله سبحانه وتعالى ، فان الذي يصلي على التربة لا يعبد إلا الله ، والذي يكتف حين الصلاة لا يعبد إلا الله أيضا.

٣ -الوقوف الحازم بوجه الفتاوى التكفيرية التي لا تروم إلا تمزيق وحدة الصف ، فـ((إنّ من أعظم ما بُليت به الفرق الإسلامية ، رمي بعضهم بعضاً بالفسق والكفر))[٣]، ومثال على ذلك ما جاء في فتوى الناصبي نوح الحنفي ، بقوله:((من قتل رافضيا واحدا وجبت له الجنة ، ومن توقف في كفرهم وإلحادهم ووجوب قتالهم وجواز قتلهم فهو كافر مثلهم ... فيجب قتل هؤلاء الكفار تابوا أو لم يتوبوا ولا يجوز تركهم عليه بإعطاء الجزية...))[١].

٤ -إصلاح الحالة العلمية والعمل على إنشاء جيل من العلماء يكثر به سواد المصلحين ، فان الجهل آفة تنخر بناء كل مجتمع على هذه البسيطة، ولا شك أن التفاوت العقلي في معارفنا قد يؤدي ببعضنا الى الغلو بان يجعل معارفه البسيطة عقائدا ، من شانه ان يجعل الدين الواحد أديانا مختلفة ومتباينة ، فيستغل أعداء الإسلام ذلك ليبثوا سمومهم بقولهم : أي من هؤلاء الذي يمثل الإسلام الصحيح وكلهم يدعيه؟

٥ -الحرص على توفير العيش الرغيد للمسلمين كافة ، فان حالة الفقر التي هم عليها الآن لتشكل عاملا مساعدا ومهما في استغلالهم من قبل أعداء الدين والعروبة ، وهو عامل أساسي أيضا في تمزيق وحدة المجتمع من خلال ما تتولد لدى أفراده من عقد وامرض نفسية ، أولها الحسد، فحب الأنا، فالمنافسة على التسلط ، فالاقتتال من اجل المادة ، ونحو ذلك، ويمكن للمتتبع أن يلحظ هذا الأمر بأقل مقارنة مع دول الخليج والعراق الجريح، على الرغم من كثرة خيرات الأخير ، الا ان شعبه يعاني الفقر أو قل الحرمان من ابسط حقوق الإنسان، وهو ما ساعد على ظهور حركات ادعت التدين فصدقها البؤساء ، لأنهم ظنوا فيها الخلاص من كل عناء ،وكان ثمن ذلك ان دفعوا حياتهم فداء .

٦ -بث روح التعاون الاسروي والاجتماعي والدولي لكل إنسان وكل مسلم ؛ كي لا يشعره ذلك انه في غابة ، فيؤدي ذلك عنده الى التمرد على الواقع ، و قد اثر عن سيد الوصيين انه قال: ((عجبت لمن لا يجد قوت يومه كيف لا يخرج على الناس شاهرا سيفه)) .

---

[٣] م .ن / ٦٠ + أجوبة مسائل جار الله /٥ .

[١] العقول الدرية : ١٠٢/١. نقلا عن رسالة الماجستير (الإمامة في فكر السيد عبد الحسين شرف الدين)، للباحث محمد حسين /٢٠٠٧م.

٧ ـ العمل على جمع كلمة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها وتصفية الخلافات القائمة بينهم بعرضها على كتاب الله وسنة رسوله(ص) ، ومحاولة القبول بتعدد القراءات لجميع الأفكار الإسلامية، عدا الهدّامة منها .

٨ ـ إثبات نجاة أهل التوحيد، ومعاملتهم بلحاظ كونهم مسلمين ، فإنهم محقونة دمائهم ومحرمة أموالهم ، ومصونة أعراضهم إذا ما نطقوا بالشهادتين ، من خلال إصدار الفتاوى العديدة لائمة المذاهب الإسلامية كافة التي تؤكد على ذلك وتحث عليه ، بغض النظر عن انتماءاتهم المذهبية ، ومشاربهم العقائدية ، فالمعول عليه هو عبادتهم لله وحده لا شريك له، لأنّ العاقل إذا رأى نصوص صحاحه ، وفتاوى علمائه تحكم بالإيمان على مطلق أهل التوحيد وتعلن نجاة جميع أصحاب القبلة لا يبقى بعدها أمر بدعوة إلى هذه النفرة ، أو يصّده عن الوئام ، والأُلفة .

الخاتمة واهم النتائج

بعد هذه الرحلة المؤلمة في تسليط الضوء على الواقع الإسلامي المرير من حيث تفرقه وتنازعه وما آل إليه من حالة الضعف والانكسار وسيطرة المحتل على ثرواته وإمكاناته ، يخلص البحث لعدة أمور كنتائج مهمة هي :

١ ـ إن الخطاب القرآني أكد في كثير من آياته على وجوب الوحدة ونبذ الفرقة وعدم التنازع .

٢ ـ إن الخطاب النبوي لم يباين خطاب القران الوحدوي ، وهو ما أكدته الروايات العديدة لأبواب رحمة الله ـ محمد واله المعصومين في التأكيد على ضرورة التوحد والألفة .

٣ ـ إن من علماء الأمة المعتدلين، من كلا الفريقين ساروا على خطى القران والسنة في تحقيق الوحدة الإسلامية فأسسوا دارا للتقريب بين المذاهب .

٤ ـ إن للفرقة بين المذاهب أسباب تتردد بين السياسية ، والاقتصادية ، والعلمية ، والاستعمارية ، والشخصية يجب التنبه لها ووضع الحلول الناجعة في تذويبها والقضاء عليها.

٥ ـ إن من الحلول الناجعة لتحقيق الوحدة ، الإيمان بالله ورسوله وبما جاء به من عند الله وتطبيق وصايا ال البيت (ع) وأقوالهم ، والوقوف بحزم وقوة بوجه الفتاوى التكفيرية التي نخرت ولا تزال في بناء المجتمع الإسلامي.

٦ ـ إن في الألفة والاجتماع رضا الله ورسوله (ص) ، وفي الفرقة سخطهما ، واجدنا نحن المسلمون بتفرقنا قد أغضبنا ربنا الواحد ونبيه وأسخطناهما ، ولا عذر لنا في هذا .

٧ ـ انه من الضروري اليوم تفعيل قانون دار التقريب بين المذاهب وإتباع قوانينها لما فيه من راب الصدع ولمّ شمل المسلمين على اختلاف

مشاربهم ، ولعل في مبادرة المصالحة الوطنية التي بادر اليها رئيس الوزراء بعض ما يبرّد كبد حرى ويسمن جوفا غرثى .

٨ -ان المحتل ليس سببا رئيسا في فرقتنا ولا حائلا مانعا من تجمعنا ، طالما لدينا مفكرين معتدلين من جميع طوائف هذا الشعب المظلوم ، فان تحقيق الوحدة سهلا يسيرا ؛ بسبب ماعندنا من المبادئ الأساسية المشتركة لتحقيقها ، فالمعبود واحد ، والمرسل واحد ، والكتاب واحد ، والقبلة واحدة ، والوطن واحد ، والعدو واحد ، فلابد أن يذوب برد التفرق ، ويتمزق حصن التنازع ، وينجلي ظلام التباغض ، ليحل محل ذلك نور المحبة ، وبهجة الألفة ، وعطر التلاحم ، إن كنا نؤمن بالله واليوم الآخر .

٩- وأخيرا فلا أجدنا إلا مقصرين لا قاصرين أمام الخطاب الإسلامي الداعي الى الوحدة ، إن بقينا على هذه الحال من التشتت والتمزق ، وعاقبة ذلك غير محمودة ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (الأنعام/١٥٩).

قائمة المصادر

* القران الكريم *

١- أجوبة مسائل موسى جار الله : الموسوي عبد الحسين شرف الدين (ت:١٣٧٧هـ) ، تحقيق : حسين راضي ، ط٢ ، نشر الجمعية الإسلامية – ١٤٠٢هـ /١٩٨٢م.

٢- الإعلام قاموس تراجم : الزركلي خير الدين (ت ١٤١٠هـ) ، ط٥ ، طبع ونشر دار العلم للملايين – بيروت ، لا . ت.

٣- أمالي السيد المرتضى :الشريف ابو القاسم علي بن الطاهر (ت:٤٣٦هـ)، تحقيق:محمد بدر الدين النعساني ،ط١،مطبعة ونشر آية الله المرعشي النجفي ،قم - ١٤٠٣هـ.

٤- الإمام الحسين شمس لن تغيب: الربيعي، الشيخ جميل، الطبعة الاولى، مطبعة : عترت ، دار الاعتصام ، بيروت /١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م .

٥- الى المجمع العربي بدمشق : الموسوي عبد الحسين شرف الدين (ت:١٣٧٧هـ) البلاغ للطباعة والنشر / الطبعة الأولى (١٤٢٤هـ.

٦- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار ألائمة الأطهار:المجلسي محمد باقر (ت:١١١١هـ) ، ط٢، مطبعة ونشر دار الوفاء بيروت -١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٧- تاريخ مدينة دمشق : ابن عساكر ابو القاسم علي بن الحسين ابن هبة الله بن عبد الله (ت: ٥٧١هـ)، تحقيق : علي شيري ،مطبعة ونشر دار الفكر ، بيروت - ١٤١٥هـ.

٨- التبيان في تفسير القرآن : الطوسي ابو جعفر محمد بن الحسن (ت:٤٦٠هـ) ، تحقيق :احمد حبيب قصير ، ط١ ، مطبعة ونشر مكتبة للاعلام الاسلامي ، دار احياء التراث العربي –
٩- التحفة السنية في شرح نخبة المحسنية :الكاشاني محسن (ت:١٠٩١هـ)،شرح عبدالله نور الدين بن نعمة الله الجزائري،نسخة خطية في مكتبة استانة ، قدس .
١٠ - تفسير الصافي :الكاشاني محمد محسن الفيض (ت:١٠٩١هـ) ، تحقيق: حسين الاعلمي ،ط٢، مطبعة مؤسسة الهادي ، مكتبة الصدر ، طهران -١٤١٦هـ.
١١ - جامع البيان عن تأويل ايت القرآن :الطبري ابو جعفر محمد بن جرير (ت:٣١٠هـ)، ضبط وتوثيق وتخريج :صدقب جميل العطار ، ط١، مطبعة ونشر دار الفكر ،بيروت – ١٤١٥هـ.
١٢- خصائص الائمة :المرتضى علم الهدى علي بن الحسين الموسوي(ت ٤٣٦هـ) ،تحقبق: د. محمد هادي عرفة ، نشر مجمع البحوث الاسلامية ، مشهد/ ١٤٠٦هـ .
١٣- دراسات في التراث الأدبي: د . زراقط عبد المجيد (معاصر)، الغدير للطباعة والنشر/ بيروت – لبنان / الطبعة الأولى (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م) .
١٤- صحيح البخاري :البخاري ابو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابرهيم الجعفي (ت:٢٥٦هـ) ،طبعة بالاوفسيت عن طبعة دار الطباعة العامرة باستانبول ١٤٠١عـ دارالفكر ، بيروت .
١٥- صحيح مسلم :النسابوري ابو الحسين مسلم بن الحجاج ابن مسلم القشيري(ت:٢٦١هـ) ، النشر : دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت . لا ، ت .
١٦- الصحيفة السجادية : زين العابدين : الإمام علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليه السلام (ت٩٤هـ) ، مطبعة جانجانة دفتر – انتشارات إسلامي ، جامعة مدرسين حوزة علمية – قم .
١٧- العين : الفراهيدي ابو عبد الرحمن الخليل بن احمد (ت:١٧٥هـ) ،تحقيق : د. مهدي المخزومي ،وابراهيم السامرائي ،ط٢ ، مطبعة الصدر ،مؤسسة دار الهجرة ، ايران- ١٤٠٩هـ.
١٨- الفصول المهمة في تأليف الامة : الموسوي عبد الحسين شرف الدين (ت:١٣٧٧هـ) ، تحقيق د . عبد الجبار شرارة / المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية ايران – طهران / الطبعة الثانية (١٤٢٣ هـ)
١٩- فقه السنة : سيد سابق ، دار الكتاب العربي / بيروت – لبنان .
٢٠- فقه الصادق: الروحاني : محمد صادق الحسيني (معاصر) ، المطبعة العلمية – مؤسسة نشر الكتاب – قم / الطبعة الثالثة (١٤١٣هـ) .
٢١- فلك النجاة في الإمامة والصلاة : الحنفي : علي محمد فتح الدين (ت١٣٧١هـ)
، تحقيق ملا أصغر علي محمد جعفر ، الطبعة الثانية مؤسسة السلام (١٤١٨هـ) .

٢٢ - الكافي : الكليني ابو جعفر محمد بن يعقوب (ت:٣٢٩هـ) ، تحقيق : علي اكبر غفاري ، ط٤ ، مطبعة الحيدري ، دار الكتب الاسلامية ،قم -١٣٦٥هـ.
٢٣- كتاب السنة: الضحاك : عمرو بن ابي عاصم (٢٨٧هـ) ، تحقيق محمد ناصر اللباني، المكتب الإسلامي – بيروت – لبنان / الطبعة الثالثة (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م)
.
٢٤- كنز الفوائد:الكراجكي محمد بن علي (ت: ٤٤٩هـ) ، نشر مكتبة المصطفوي ، قم ١٤١٠هـ.
٢٥- كنز العمال في سنن الاقوال والافعال : المتقي الهندي علاء الدين بن حسام الدين (ت: ٩٥٧هـ) ، تحقيق : بكري حياني ،وصفوة السقا ، ط١ ، مطبعة ونشر مؤسسة الرسالة ، بيروت -١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.
٢٦- ليالي بيشاور (مناظرات وحوار) : سلطان الواعظين : محمد الموسوي ، تحقيق حسين الموسوي ، الطبعة الثالثة عشر ، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م) .
٢٧- المجازات النبوية : المرتضى : علم الهدى علي بن الحسين الموسوي (ت٤٣٦هـ) ، تحقيق طه محمد الزيني / مكتبة نصيرتي – قم / مطبعة الاعتدال – دمشق(١٣٤٩هـ) .

٢٨- مجمع البحرين : الطريحي فخر الدين (ت:١٠٨٥هـ) ، تحقيق: احمد الحسيني ،ط٢، مكتبة نشر الثقلفة الاسلامي -١٤٠٨هـ.
٢٩- مختار الصحاح :الرازي محمد بن ابي بكر بن عبد القادر (ت ٧٢١هـ)، تحقيق : احمد شمس الدين ، الطبعة الاولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.
٣٠- المستدرك على الصحيحين :الحاكم النيسابوري ابو عبد الله محمد بن محمد (ت: ٤٠٥هـ) ، تحقيق : د. يوسف المرعشلي ، دار المعرفة ، بيروت -١٤٠٦هـ .
٣١- مسند احمد : احمد بن حنبل (ت٢٤١هـ)، مصر، المطبعة الميمنية – ١٣١٣هـ.

٣٢- المراجعات : الموسوي عبد الحسين شرف الدين (ت:١٣٧٧هـ) ، تحقيق : حسين راضي ، ط٢ ، نشر الجمعية الاسلامية – ١٤٠٢هـ /١٩٨٢م.
٣٣- المراجعات الريحانية أحوار فكري بين كاشف الغطاء ومجموعة من العلماء والأدباء (١٣٣١هـ) : كاشف الغطاء : جعفر (ت ١٢٢٨هـ) ، تحقيق محمد عبد الحكيم الصافي / دار الهادي للطباعة والنشر / الطبعة الأولى (١٤٢٤هـ) .
٣٤- معجم الفاظ الفقه الجعفري : د. فتح الله احمد ، ط١ ، طبع بمطابع المدخول ، الدمام – ١٤١٥هـ/.١٩٩٥ م.

٣٥- مقتل الحسين (ع) : أبن محتف : لوط بن يحيى بن سعيد بن مسلم الأزدي (ت١٥٧هـ) ، تحقيق ميرزا حسن الغفاري ،المكتبة العامة شهاب الدين المرعشي النجفي / المطبعة العلمية – قم (١٣٩٨هـ) .
٣٦- منتهى المطلب : العلامة ابو منصور الحسن بن يةسف بن المطهر (ت: ٧٢٦هـ) ، مقابلة : بيشنماز ، الناشر حاج تبريز – ١٣٣٣هـ .
٣٧- الميزان في تفسير القرآن : الطباطبائي محمد حسين (ت:١٤٠٢هـ) ، منشورات جماعة المدرسين ، قم . لا، ت.
٣٨- نهج البلاغة : شرح محمد عبدةه ، ط١، نشر وطباعة :دار المعرفة ، بيروت . لا، ت .
٣٩- الوحدة الاسلامية : جمع وترتيب : عبد الكريم الشيرازي ، الطبعة الثانية ، مؤسسة الاعلمي ، بيروت -١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
٤٠- وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة : العاملي محمد بن الحسن (ت:١١٠٤هـ) ، تحقيق : مؤسسة ال البيت (ع) لاحياء التراث ،ط٢ ،مطبعة مهر ، قم- ١٤١٤هـ.

الرسائل والمجلات

١- مؤسسة آل البيت : تراثنا(نشرة فصلية) تصدرها مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث / نشر مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث –قم /مطبعة مهر/ الطبعة الأولى (١٤١٢هـ) .
٢- مجلة فقه أهل البيت (ع) / مؤسسة معارف الفقه الإسلامي / العدد الثامن والثلاثون / السنة العاشرة (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م) إيران – قم .
٣- محاضرات في علوم القرآن: العلامة الأستاذ ألأول المتمرس . د محمد حسين الصغير ، أُلقيت على طلبة الدكتوراه / جامعة الكوفة – كلية الفقه – ٢٠٠٨م .

الرسائل الجامعية

١ - الإمامة في فكر السيد عبد الحسين شرف الدين – رسالة ماجستير -: الاستاذ محمد حسين عبود ، جامعة الكوفة / كلية الفقه – ٢٠٠٧م.

ملخص بحث:
(مباني الوحدة في الخطاب الاسلامي)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي قال في كتابه :﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا** ﴾ وبرّأ نبيه ممن لدينهم فرّقوا، ثم الصلاة والسلام على سفن النجاة من الغرق وعاصمي الناس من التفرق محمد واله الطيبين الطاهرين.وعلى أصحابه المخلصين ومن حذا حذوهم الى يوم الدين .

وبعد...

لاشك في أن الخلاف الديني بين المذاهب الإسلامية ليس في شيء من أمور الخلاف السياسي ؛ لأنه اذا مشى في وضعه الصحيح لم يوجب تفرقة في كلمة المسلمين ، ولم يحدث عداء بينهم ، لأنه لا يدور في أصله على مطمع من مطامع الدنيا كما يدور الخلاف السياسي ، وإنما يرجع في أصله الى تفاوت عقول البشر وتباين مداركهم فضلا عن أن كثيرا من النصوص الدينية لا تكون ذات دلالة قطعية فكثير منها ورد إلينا بطرق الآحاد وهذا يجعلها ظنية في متنها ودلالتها معا .

ولاشك ايضا في أن مثل هذا الخلاف - الذي تسامح فيه الشارع المقدس فقبل عمل المكلف ولو كان مبنيا على الظن ، لكن المعتبر منه دون الظن المطلق- يجري سمحا بين المسلمين لأنه مبنيا في الأصل على التفاوت بين العقول فلابد - والحال هذا- أن يغفر بعضهم لبعض فيه كما غفر الله لهم عملهم بالظن وقبله منهم ، لأنهم لا شان لهم في الدين أكثر من شان الشارع فهو صاحبه في الحقيقة و له الولاية التشريعية المطلقة فهو الذي له حق الامر والنهي على العباد واليه يعود الثواب والعقاب فيه ، ومن اجل هذا يجب ان يترك أمر الحساب الديني على الخلاف الظني اليه وحده عز وجل ، وان يكون علاج أمره بيننا بالتي هي أحسن لا بشيء آخر، قال تعالى: ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴾ (المؤمنون/٩٦)..

وعلى أساس من هذا قامت مجموعة من العلماء المعتدلين بإنشاء دار للتقريب بين المذاهب الإسلامية[٤] ،في الخمسينيات من القرن الماضي ـ كان مقرها الرئيسي في مصر وبإشراف من الجامع الأزهر وريادة الشيخ محمد شلتوت شيخ الأزهر آنذاك ، وان كان مؤسسها الأول هو الشيخ محمد تقي القمي الذي له الفضل في إرساء قواعدها وذلك بسفره المتواصل الى كافة البلدان الإسلامية ومناقشة علماء تلك الأمصار، بغية إقناعهم على توحيد كلمة المسلمين ورصّ صفوفهم فنتج عن ذلك دار التقريب، التي جعلت سنتها ما تقدم من البديهيات العقلية الضرورية ، وبنت مرتكزها على القواسم المشتركة بين المذاهب من اجل رأب الصدع في ما بينهم وتوحيد كلمة المسلمين وجمع شتاتهم وقد جعلت في المادة الثانية من قانونها الأساسي البنود التالية[٥]:

١-العمل على جمع كلمة أرباب المذهب الإسلامية الذين باعدت بينهم آراء لا تمس العقائد التي يجب الإيمان بها.

٢- نشر المبادئ الإسلامية باللغات المختلفة ، وبيان حاجة المجتمع الى الأخذ بها .

٣-السعي الى إزالة ما يكون من نزاع بين شعبين او طائفتين من المسلمين والتوفيق بينهما .

وهذه هي سنة جماعة التقريب أولئك، فهي تعمل على جمع كلمة أرباب المذاهب بالتي هي أحسن وتسعى الى تسوية النزاعات بطرق سليمة وسلمية ؛ليحل الصفاء محل الجفاء وتجتمع الكلمة بعد الفرقة ، مع بقاء كل فريق على مذهبه إن أراد ؛ فجميع المذاهب الإسلامية ما هي الا طرقا مؤدية الى الله تعالى ، وللعبد المكلف أن يختار أيها شاء للوصول الى رضاه سبحانه الا ان هناك دائما طرقا مختصرة وأمينة بل ومضمونة ، وهناك طرقا بعيدة وخطرة وموهمة فعلى المرء ان يحتاط في اختياره ويحذر من شيطانه .

واذا كان الإسلام لا يرى ان يترك الكافر دينه وينتقل الى الإيمان كرها وإنما يجب ان تكون دعوته اليه بالحكمة والموعظة الحسنة قال عزّ من قائل: ﴿ لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنْ الغَيِّ.. ﴾ (البقرة/٢٥٦)، فمن الأولى أن تكون هذه الدعوة مفتوحة بين المذاهب الإسلامية ، فيجعلوا الحق لكل مسلم في الانتقال من مذهبه الى أي مذهب إسلامي آخر، ولا كفران في ذلك طالما هو يعبد الله وحده ويؤمن بنبوة سيد المصطفين (ص) وقبلته قبلة المسلمين.

وأما مسالة الإمامة فلا خلاف بين علماء المسلمين على ضرورتها ، غاية ما في الأمر أن الأمامية يعدّوها نصا من الله تعالى ، بينما يذهب علماء الجمهور الى إنها تعينا انتخابيا لا نصا سماويا .

ومع هذا ؛ لم يؤثر عن أئمة أهل البيت (ع) أنهم وجهوا او أمروا على حمل الناس على الإيمان بإمامتهم كرها ، بل على العكس من ذلك فقد وجدناهم ينال منهم في الأسواق من قبل بعض الجهال فيقابلوا ذلك بحكمة بالغة ورحمة واسعة بقولهم

---

[٤] (ظ) كتاب الوحدة الاسلامية بين المذاهب ، عبد الكلريم الشيرازي.

[٥] م. ن /١٠٧ .

((ان كنت صادقا غفر الله لي وان كنت كاذبا غفر الله لك))[1]،ولم يجعلوا من مبدأ الإمامة معضلة يتكأ عليها المرجفون في شق عصا المسلمين ، وخير دليل على ذلك ما فعله أمير المؤمنين علي(ع) في قعوده عن المطالبة بحقه في إمرة المسلمين ،فسكت (وفي العين قذى وفي الحلق شجا)[2].

كما وتجدر الإشارة الى الجهود المبذولة من قبل السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي(ت/١٩٥٧م) في مناظراته الأزهرية مع شيخ الأزهر سليم البشري التي اتسمت بحق بروح المحبة ومنتهى الشفافية بعيدا عن المذهبية المقيتة[3].

وما أحوجنا اليوم الى مثل أولئك الأعلام الأفاضل الذين لا يرومون من حياتهم الا خدمة الإسلام والمسلمين، يقول أستاذنا العلامة الدكتور محمد حسين الصغير: ((لو بقي أولئك الأعلام –من الشيعة والسنة- الى يومنا هذا ما آل حالنا الى ماهو عليه اليوم من الفرقة والتنازع والاقتتال))[1] .ولا يخفى على كل ذي بصيرة وتدين أن من أعظم النعم التي امتن الله بها على المسلمين هي نعمة الألفة بعد الفرقة والمحبة بعد العداوة ، وبها صرّح الحق في قرانه المجيد بقوله عزّ من قائل :﴿... وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنْ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (آل عمران/١٠٣)، واذا كان الحال هذا وهو المتيقن فاننا سنسال يوم الدين عن هذه النعمة، فهل حفظناها ام أ ضعناها ؟ وواقعنا يصرح بالإجابة بما لا يقبل الشك أنّا قد أضعناها ، فهل كانت تلك النعمة عبثا ام هي لحكمة بالغة ومصلحة عظيمة اقتضت قضائه بها جل شانه؟ والأولى محال عليه سبحانه، فتعين الثانية ، فبأي شيء نجيب رب السموات والأرض؟

ومن اجل ذلك كله وجدت من المناسب جدا أن اختار موضوع هذا البحث والموسوم بـ (مباني الوحدة الإسلامية في الخطاب الإسلامي) لعلّي أسهم به في تقوية عصبة المؤمنين ورصّ صفوف المسلمين ، فقد قال رسول الله (ص): ((من أصبح لا يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم))[2] .

وقد اختطت هذه الدراسة لنفساها مباحث متنوعة ، كان الأول منها معنيا ببيان مباني الوحدة في القران الكريم ، فطفقت ابحث في كتاب الله عن آيات اتسم موضوعها بالتأكيد على الوحدة بين المسلمين ، ولما وجدتها كثيرة ومتعددة اقتصرت على بعض منها طلبا للاختصار وعدم الإطالة وعني المبحث الثاني ببيان الخطاب الوحدوي عند النبي (ص) ، وعند آل البيت (عليهم السلام) ، بعدّهما عدل القران وأنهما أهل النص الذي لا تقلّ قدسيته عن قدسية القران العظيم ، مقتصرا ايضا على بعضها للسبب ذاته، وأما المبحث الثالث فقد أبان الخطاب الوحدوي عند علماء الإسلام بغض النظر عن انتماءاتهم ،لكي لا نبخس الناس حقهم، وليكونوا نعم المثل

---

[1] بحار الأنوار ، المجلسي : ٥/ ٢٢١.

[2] نهج البلاغة ، لابن ابي الحديد :١/ ٣١.

[3] (ظ) كتاب المراجعات ، شرف الدين الموسوي .

[1] محاضرات الدكتور الصغير ، القيت على طلبة الدكتوراه في كلية الفقه /٢٠٠٨م.

[2] الكافي ، للكليني:١٦٣/٢.

المقتدى به فإنهم مضوا وبقيت آثارهم وآمالهم في أن تتحقق الوحدة بين المسلمين.
ليأتي المبحث الرابع مسلطا الضوء فيه على أسباب الفرقة والتنازع بين بني البشر بشكل عام والمسلمين على وجه الخصوص ، ومن ثمّ ذكر البحث بعض الحلول والسبل التي يمكن بها تحقيق الوحدة، ثم جاءت النتائج التي تمخضت عنها هذه الدراسة ،ويمكن إجمالها بالاتي:

١- -إن الخطاب القرآني أكد في كثير من آياته على وجوب الوحدة ونبذ الفرقة وعدم التنازع .
٢-إن الخطاب النبوي لم يباين خطاب القران الوحدوي ، وهو ما أكدته الروايات العديدة لأبواب رحمة الله - محمد واله المعصومين في التأكيد على ضرورة التوحد والألفة .
٣-إن من علماء الأمة المعتدلين، من كلا الفريقين ساروا على خطى القران والسنة في تحقيق الوحدة الإسلامية فأسسوا دارا للتقريب بين المذاهب .
٤-إن للفرقة بين المذاهب أسباب تتردد بين السياسية ، والاقتصادية ، والعلمية ، والاستعمارية ، والشخصية يجب التنبه لها ووضع الحلول الناجعة في تذويبها والقضاء عليها.
٥-إن من الحلول الناجعة لتحقيق الوحدة ، الإيمان بالله ورسوله وبما جاء به من عند الله وتطبيق وصايا ال البيت (ع) وأقوالهم ، والوقوف بحزم وقوة بوجه الفتاوى التكفيرية التي نخرت ولا تزال في بناء المجتمع الإسلامي.
٦-إن في الألفة والاجتماع رضا الله ورسوله (ص) ، وفي الفرقة سخطهما ، واجدنا نحن المسلمون بتفرقنا قد أغضبنا ربنا الواحد ونبيه وأسخطناهما ، ولا عذر لنا في هذا .
٧-انه من الضروري اليوم تفعيل قانون دار التقريب بين المذاهب وإتباع قوانينها لما فيه من راب الصدع ولمّ شمل المسلمين على اختلاف مشاربهم ، ولعل في مبادرة المصالحة الوطنية التي بادر اليها رئيس الوزراء بعض ما يبرّد كبد حرى ويسمن جوفا غرثى .
٨-ان المحتل ليس سببا رئيسا في فرقتنا ولا حائلا مانعا من تجمعنا ، طالما لدينا مفكرين معتدلين من جميع طوائف هذا الشعب المظلوم ، فان تحقيق الوحدة سهل يسير؛ بسبب ماعندنا من المبادئ الأساسية المشتركة لتحقيقها ، فالمعبود واحد ، والمرسل واحد ، والكتاب واحد ، والقبلة واحدة ، والوطن واحد ، والعدو واحد ، فلابد أن يذوب بَرَدُ التفرق ، ويُهدّمُ حصن التنازع ، وينجلي ظلام التباغض ، ليحل محل ذلك نور المحبة ، وبهجة الألفة ، وعطر التلاحم ، إن كنا نؤمن بالله واليوم الآخر .

وأخيرا فلا أجدنا إلا مقصرين لا قاصرين أمام الخطاب الإسلامي الداعي الى الوحدة ، إن بقينا على هذه الحال من التشتت والتمزق ، وعاقبة ذلك غير محمودة ، قال تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ**﴾ (الأنعام/١٥٩).

وختاما أرجو من الله القادر المقتدر ان لا يجعلني وإياكم أيها المؤمنون مع القوم الذين يفرقون الجمع ويمنعون من رأب الصدع ، انه سميع مجيب .

والحمد لله رب العالمين

فاضل مدّب متعب

جامعة أهل البيت / كلية الشريعة

٢/ ٦ / ٢٠٠٨م